"توظيف القيم والعلاقات الجمالية للخطوط العربية المستنبطة من التحف الأثرية ومدلولاتها" (تطبيقاً على بعض المناهج التعليمية)

د. ثناء علي علي أبو طالب و د. ممدوح محمد السيد حسنين

تعد دراسة المنتجات الحضارية الأثرية من أهم الدراسات الحديثة التي تلقي القبول لدي جموع الباحثين لما لها من ثراء فكري ومادي حفظ لنا الكثير من تراث أمتنا العربية والإسلامية ، وكان للكتابات والخطوط المسجلة علي تلك التحف الأثرية دورها البارز في معرفة تتطور تلك الكتابات عبر عصورنا الإسلامية المختلفة .

لذا يهدف البحث إلي محاولة تدعيم فكرة غاية في الأهمية حول كيفية ربط دراسة تطور كتابات لغتنا العربية الجميلة بخطوطها وأشكالها المتنوعة ؛ عبر دراسة تراث تلك الأمة ممثلاً في التحف الفنية الرائعة المسجل عليها تلك الكتابات من مخطوطات وتحف تطبيقية مختلفة أفرزتها حضارتنا العربية الإسلامية عبر عصورها المختلفة ، مما سيساهم بلا شك في تنمية الوعي الأثري ورفع مستوي الحس الوطني والشعور القومي لدي هؤلاء الدارسين في جميع المراحل التعليمية . فإذا ما وضعنا في الحسبان قيام الدارسين بمختلف أعمارهم وفئاتهم بدراسة لغتهم العربية عبر الكتابات المسجلة علي التحف التطبيقية بكافة أنواعها والمحتفظ بها بمتاحفنا القومية المنتشرة في ربوع وطننا العربي من المحيط إلي الخليج ، فمما لاشك فيه أن هذا الأمر سيخلق ارتباطاً نفسياً وذهنياً وثيقاً بين هؤلاء الدارسين وتلك التحف التي تمثل تراث أمتهم ، وهو ما نعتبره الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها فكرة البحث ، والتي نوصي بتعميمها علي كافة المراحل التعليمية لتكون نواة لخلق جيل واع بأهمية تلك الذخائر من منتجات حضارته .

وإذا ما اتخذنا من مخطوطاتنا الإسلامية مثالاً علي ذلك نجد أنه صارت هناك متعة – علي سبيل المثال لا الحصر - في قراءة القرآن الكريم بخطوط وكتابات متناغمة ومتنوعة في ذات الوقت ، ساهمت بلا شك في تحفيز العقل علي استدراك وحفظ وفهم جماليات لغتنا العربية بحروفها الطيعة ، وهو ما نستطيع أن نلمسه بسهولة علي كافة منتجات حضارتنا العربية الإسلامية .

واشتمل البحث علي جانب تطبيقي غاية في الأهمية في محاولة لتطبيق تلك الفكرة علي بعض الفئات العمرية والفكرية للمراحل التعليمية المختلفة في محاولة لاستقراء واستنطاق ما سوف تفرزه تلك التجربة ، وتم إدراج تلك الفئات بأعمارها وفئاتها العمرية في جدول استبياني لمعرفة أهم ما استخلصته مفردات تلك التجربة .

لذا وجدنا من الأفضل اتباع المنهج التطبيقي والتحليلي والوصفي إلي جانب إخضاع الفكرة إلي الجانب التجريبي لـ (نواتج التعلم) ، مع دراسة إمكانية إخضاع الدارسين للعمل بورش فنية تطبيقية لتشكيل حروف لغتنا العربية علي كافة المنتجات لضمان وجود التصاق وارتباط وثيق بلغتهم العربية عبر حروفها الجميلة ، ليس هذا فحسب بل بات من الإمكان فتح المجال نحو ابتكار وتحديث برامج وأشكال جديدة لتلك الحروف مع إمكانية فتح مجالات ابتكاريه تكون نواة جيدة كأحد مخرجات العملية التعليمية ، ستكون لها أهمية بالغة في فتح مجالات جديدة في سوق العمل ، كسوق الدعاية والإعلان وكذا الحرف التقليدية ، وذلك علي سبيل المثال لا الحصر .

وبناءاً عليه سوف نقوم - في الجانب التطبيقي لهذا البحث - بدراسة أحرف اللغة العربية فى وحدات زخرفية بأشكال مختلفة وبتقنيات مختلفة ، وذلك حتى يتم الاستيعاب لأنواع الخطوط على أكمل وجه لمعرفة كيفية النطق بها وأنماطها وأشكالها لتطبيقها بصورة

عملية للطلاب بالأشغال الفنية ، وذلك من خلال دمج مادة الخطوط بالمناهج التعليمية مع مادة الاشغال الفنية وعمل منتج فنى منفذ بخامات متعددة مثل القشرة والتصوير الزيتي والرسم على الزجاج والصلصال ، إلخ .

فلقد كرم الله سبحانه وتعالي الإنسان ، وفضله بالنطق علي سائر الحيوان ، وشرف هذا اللسان العربي بالبيان علي كل لسان ، وكفاه شرفاً أنه به نزل القرآن ، وأنه لغة أهل الجنان ، وروي ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي " ١ .

وأعظم شاهد لجليل قدرها وأقوي دليل علي رفعة شأنها أن الله تعالي نسب تعليمها إلي نفسه فقال علي إسمه " إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " مع ما يروي أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحي وأول التنزيل علي أشرف نبي وأكرم مرسل ، وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لا خفاء فيه ، ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته " وإنا عليكم لحافظين كراماً كاتبين " ولا أعلي رتبة وأبذخ شرفاً مما وصف تعالي به ملائكته ونعت به حفظته ، ثم زاد ذلك تأكيداً ووفر محله إجلالاً وتعظيماً بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمته " ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون " ، والإقسام لا يقع منه سبحانه إلا بشريف ما أبدع ، وكريم ما اخترع كالشمس والقمر والنجوم ونحوها إلي غير ذلك من الآيات الدالة علي شرفها ورفعة قدرها ٢ .

وأفرد ابن خلدون في مقدمته للخط والكتابة فصلاً كاملاً واعتبرها ضمن عداد الصنائع الإنسانية قائلاً عن الخط أنه "صناعة شريفة : إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان ... وخروجها في الإنسان من القوة إلي الفعل إنما يكون بالتعليم ... وأن بها متعلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون علي المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف ، ويزيدون إلي ذلك المباشرة بتعليم وضعه ، فتعضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم" ٣ .

مما دعا الخطاطين إلي الاهتمام به وتطويره والاعتقاد بأن العناية به في كتابة القرآن الكريم واجب ديني يقربهم إلي الله ، ويأخذهم إلي المعاني التي يحملها ويدخلهم إلي عالم المطلق ، خاصة وأن الحروف العربية كانت أشكالاً تجريدية تحمل معان بيانية ذات دلالة بالنسبة للمسلمين ، فكانت بذلك مادة خصبة تعينهم في تكشف الجمال المطلق ٤ .

ولم تنتشر الكتابة انتشاراً واسعاً بين المسلمين إلا بعد غزوة بدر ، حيث أمر النبي صلوات الله عليه أسري بدر ممن يعرفون الكتابة أن يفتدوا أنفسهم بتعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة ٥ .

وأسدل الإسلام قدسية علي الخط العربي ، أو ليس هو الحرف الذي حمل الرسالة الإلهية ، لقد تضافرت الأسباب التي دفعت إلي تطوير الخط العربي وإبراز جمالياته ، أهمها الحاجة الماسة لتدوين آيات القرآن الكريم ، بالإضافة إلي تطوير الخط الذي سيدون تلك الكلمات الإلهية ، وقد روعي في ذلك وضوح الخط وسهولة قراءته إلي جانب جمالية خاصة ، ولذا فقد اعتبر الخط العربي فناً أبدعته أمهر الأيدي المسلمة ٦ .

فأدرك المسلمون أن الخط العربي يتصف بالخصائص التي تجعل منه عنصراً زخرفياً طبيعياً يحقق الأهداف الفنية ، وكثيراً ما استعمل الخط استعمالاً زخرفياً بحتاً دون الاهتمام بالمضمون المكتوب ٧ .

وتطور الخط العربي علي يد العرب إلي فن جميل احتل مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية والعربية ، وساعد علي ذلك ما تمتاز به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة والمطاوعة وما فيها من اختلاف في الوصل والفصل ، مما هيأ لها فرص التطور والزخرفة بطرق وأساليب شتي ،وليس أدل علي ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار والتنوع من أن هذه الحروف كتبت بآلاف الهيئات ، بل إن حرف الهاء وحده ورد له مئات الأشكال المختلفة ٨ .

فالفنانين المسلمين اتخذوا الكتابة عنصراً حقيقياً من عناصر الزخرفة ، فعملوا علي رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وتزيين سيقانها ورؤوسها ومداتها وأقواسها بالفروع النباتية والوريدات ... ولم يكن استخدام الخط في الزخرفة قاصراً علي أشرطة الكتابة الكوفية أو النسخية علي الأبنية أو علي التحف من خزف ومعدن وخشب وعاج ونسيج ومخطوطات فحسب ، بل كان الفنانون المسلمون يبدعون في كتابة العبارات بالخط الكوفي المتداخل بحيث تظهر العبارة علي شكل مربع أو مستطيل ، كما كانوا يكتبون العبارة أو الكلمة بالخط النسخي

أو بغيره علي شكل حيوان أو طائر ٩ .

فبعد أن تيقن الفنان المسلم من أن القصد وراء تحريم تصوير الكائنات الحية هو البعد عن مضاهاة الله في خلقه أو عبادة الأوثان ، انطلق في أريحية تامة نحو صياغة إبداعاته وتشكيلاته الفنية إلي أقصي حد ممكن في قيمه الجمالية ، فأطلق لقريحته العنان دون قيود كبلته لفترة من الزمن ما لبث أن انفك بعيداً عن براثن الإشكاليات الفقهية ما بين الرفض والقبول محلقاً في سماء الفن بكل ما أوتي من قوة ، ومع هذا لم يمنعه ذلك من اتخاذ أحرف اللغة العربية – التي كانت متنفسه الإبداعي الأول خلال الفترات الإسلامية المبكرة – والتي لولاها ما كان ليضع إمكانياته وابداعاته وتوجيهها نحو تطوير وتطويع وابتكار أشكال وأنماط ثرية من تلك الأحرف ، وكأن للإشكاليات الفقهية تلك جوانبها الإيجابية فكانت سبباً رئيسياً في حلقات التطور تلك ، فرب ضارة نافعة .

ومع هذا لم يتجه الفنان والخطاط العربي إلي إظهار قدراته الإبداعية في رسوم الأشكال الآدمية والحيوانية متناسياً أو تاركاً ملكاته الإبداعية التي توصل إليها في مجال الكتابات والخطوط العربية ، بل نجده علي العكس تماماً فقد اتجه بكل ما لديه من كبت فني حيال تنفيذ الأشكال الآدمية والحيوانية ليطوعها هي الأخري ويدمجها جنباً إلي جنب مع كتابات وأحرف لغته الجميلة ، وكأنه أبي أن يترك أو يتناسي ما كان له عظيم الفضل عليه فيما وصل إليه من مكانة فنية عظيمة ، مثال ذلك شمعدان من النحاس مكفت بالفضة ينسب للأمير كتبغا المنصوري ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، امتازت نهايات الكتابات المسجلة عليه بأنها ذات شكل رسوم آدمية (لوحة ١) .

وقد حملت الخطوط العربية – بصفتها أشكال مجردة – قيم جمالية في كل حرف عربي ، ويتضح ذلك في البناء التشكيلي للحرف وحركة الخط داخل الحرف وسمك الخطوط وتنوعها ، حيث أبدع الفنانين الخطاطين تشكيلات خطية رائعة علي مختلف أنواع المنتجات الإسلامية ، حتي أصبح الخط العربي العنصر الزخرفي الرئيسي المميز للفن الإسلامي ، فقد اتجه الخط العربي من شكله البدائي إلي شكل فني لم يعد له حد في التفنن والتغيير ، ومع أنه لم يتخل عن وظيفته البيانية ، فإنه أصبح صيغة فنية مجردة لا ترتبط بالمعني ذاته بل بصفته القدسية التي أصبحت جمالية تبعاً لجمالية الخط ذاته ١٠ .

لذا حمل الخط العربي بعداً جمالياً روحياً من خلال جلال وقدسية المعاني البيانية لتشكيلاته وارتباطها بالثقافة والفلسفة الجمالية للمجتمع الإسلامي ، إضافة إلي القيم الجمالية التصميمية التي احتوتها حروفه وتشكيلاته التجريدية ١١ .

كما خضعت القيم التصميمية للخط العربي للمعيار التشكيلي ١٢ الذي يحدد القيم التصميمية الجمالية للفن الإسلامي ، والتي تتحقق من خلال توظيف العناصر الإنشائية والتي تمثلها الحروف العربية والكلمات بمختلف أنواعها وأشكالها في تشكيلات فنية تتحقق فيها رباعية القيم الجمالية الأساسية وهي : الإيقاع والتوازن والتوافقات النسبية والوحدة ، ساعد علي ذلك الخصائص التشكيلية للحروف العربية وما بها من طواعية في التشكيل ، فالأعمال خطت بأسس ومعايير الفن الإسلامي في إشغال السطح ، بناء التكوين الفني ، تعادل الشكل والفراغ ، القوة التعبيرية الناتجة من حركة الشكل في الفراغ أي الطاقة الحركية للتكوينات الخطية ١٣ .

كما تتوفر في الكتابات العربية مزية قل أن توجد في خطوط الأمم الأخري تلك هي إمكان زخرفتها علي وجوه لا تعد ولا تحصي ، لهذا استطاع الخطاطون أن يستخرجوا منها أنماطاً زخرفية غاية في الإبداع وحسن الاستخلاص ١٤ ، وهكذا اكتشف المسلمون في حروف لغتهم العربية حركة دائبة في امتدادها وصعودها وهبوطها واستداراتها ، علي الرغم مما تبدو عليه من سكون وجمود ، لذا تضمنت الحروف العربية حياة كامنة أتاحت لها التشكيل الجميل ١٥ .

وتتمثل المقومات التشكيلية للخط العربي في قابلية المد الرأسي والبسط الأفقي والعجم والتشكيل وتعدد شكل الحرف الواحد والليونة والاستدارة والمطاطية ، والتزوية والتشابك والتداخل وفتحات البياض ، حيث أن معرفة واستيعاب هذه المقومات يفيد في تفهم طبيعة الخط العربي ، ويعمق إدراك وتذوق التراكيب والعلاقات الجمالية بين مفرداته وأجزائه ١٦ .

فبدأت الزخارف في الظهور علي الصفحات المكتوبة في المصاحف منذ عصر متقدم ، وكان مجالها أولاً رؤوس السور والفواصل بين الآيات وعلامات الأحزاب والأجزاء ، غير أن الورقتين الأولي والثانية – وفيهما فاتحة القرآن وبدء سورة البقرة – هما اللتان عني بهما عناية كبيرة حتي كانتا تزدحمان بالزخارف وتلمعان بالألوان البراقة ، وأما في المخطوطات غير القرآنية فكانت عناوين الكتب أو الأبواب

أو الفصول هي التي يعني بزخرفتها وتلوينها ، فضلاً عن توضيح المتن بالصور الصغيرة Miniature Painting التي امتازت برسمها إيران والهند ثم تركيا ١٧ .

ولم يقف الخطاط العربي في تنفيذ خطوطه تلك علي التحف والمنتجات الأثرية فحسب بل تعدتها لتصبح مادة شارحة لرسوم شخوصه وأبطال قصصه ونوادره ومادته العلمية كما في تصاوير المخطوطات والمزوقات التي ترجمت كتاباتها إلي رسوم وتصاوير مبينة ، صارت هي الأخري صدي لتلك الكتابات وكأنهما باتا وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

ولنضرب هنا بعض الأمثلة لبعض مقتنيات المتاحف لتوضيح مدي أهمية تزويق تلك المصاحف لتحبيب وترغيب الأطفال والحفظة أثناء حفظهم وقراءتهم للقرآن الكريم ، حيث صارت – كما سبق وأن أشرنا – هناك متعة في قراءة القرآن الكريم بخطوط وكتابات متناغمة ومتنوعة تساهم في تحفيز العقل علي استدراك وفهم جماليات لغتنا العربية بحروفها الطيعة عبر قراءتها بالمصاحف المدونة به ، وبالتبعية متعة وسهولة حفظ تلك الآيات القرآنية المسجلة والمدونة ، وهو ما نراه كان مقصوداً من الفنان المسلم حينئذ ، كجانب تعليمي محفز نفتقده كثيراً في تلك الأيام .

ومن أمثلة ذلك مخطوط غير مؤرخ محفوظ بمكتبة المخطوطات الإسلامية بالقاهرة التابعة لوزارة الأوقاف المصرية – ربما ينشر لأول مرة – يمثل افتتاحية مصحف مسجل تحت رقم ٢١٧٥ ، كان موقوفاً لمسجد السيدة نفيسة بالقاهرة ، مجلد ، ويحتوي علي علامة مائية ، ومزخرف بحليات ملونة ومذهبة ، لون المداد في العنوان الفرعي أسود ، وأحمر في النص المسجل بخط النسخ ربما يرجع للقرن الحادي عشر أو الثاني عشر الهجري (لوحة ٢) .

ومثال آخر للوحة أخري من مخطوط إيراني مذهب محفوظة بمتحف لوس أنجيلوس بأمريكا مكونة من ستة أسطر لخطوط من الأدعية والعبارات الإسلامية المسجلة بخط النستعليق ، ترجع للقرن السادس عشر الميلادي (لوحة ٣) ، نفذت ألوانه علي الورق ، ومحتفظ به ضمن مجموعة The Nasli M. Heeramaneck ومسجل تحت رقم (M.٥٤١,٥,٧٣) .

ويحتفظ نفس المتحف بصفحة من مخطوط ورقي لافتتاحية مصحف غاية في الجمال والروعة (لوحة ٤) تنم عن يد فنية قادرة تنسب للقرن الثامن أو التاسع الميلادي مذهبة ذات ألوان متعددة ، محفوظة تحت رقم (M.٣٩٦,١,٢٠٠٢) ، أبعادها (٣,٨١ × ٧,٩٤) ، مسجل علي الإطار الخارجي (الهامش) شريط كتابي ملتف نصه " قال ابن عباس كان النبي صلي الله عليه وعلي آله إذا أُنزل عليه القرآن ...) ، كما شمل المتن الداخلي علي نص قرآني نصه " لهما قولاً كريماً وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم " ١٨ ، كما يحتفظ المتحف بصفحة مزدوجة من مخطوط قرآني مذهب ، ينسب لأسبانيا بالقرن الثالث عشر الميلادي مسجل تحت رقم (M.٢٥,١,٢٠٠٢) تعكس نمط الكتابة المسجلة عليه طبيعة الخط المغربي الذي كان سائداً بإسبانيا وشمال إفريقيا في تلك الفترة (لوحة ٥) ١٩ .

ولم يقتصر الحال بالفنان المسلم عند هذا الحد بل أنه جعل من اللغة العربية وكتاباتها المزخرفة أمراً مرئياً في شتي مناحي الحياة ، فنجده قد قام بتسجيلها علي عمائره وملابسه وأدوات حياته اليومية من مأكل ومشرب وغيرها ، وهو الأمر الذي صرنا نفتقده بشكل كبير في العصر الحديث وإن كان ظاهراً علي استحياء من فترة لأخري .

فعلي سبيل المثال لا الحصر نجد الفنان المسلم قد خط كتاباته علي مشكاة من الزجاج التي كان يستخدمها في الإضاءة دون أن يتركها هكذا دون زخرفة ، تلك المشكاة محفوظة بمتحف لوس أنجيلوس للفنون ، محفوظة تحت رقم (٥٠,٢٨,٤) ، مزخرفة ومطلية بالمينا ومذهبة صنعت برسم الأمير شيخو لتوضع بمسجده أو خانقاته (لوحة ٦) ، وترجع للعصر المملوكي بالقرن الرابع عشر الميلادي ، مسجل عليها عند الرقبة آيات من سورة النور (الله نور السموات والأرض ..) ٢٠ .

كما يحتفظ ذات المتحف بإبريق ماء من الخزف المزجج باللون الأبيض ينسب لمدينة نيسابور أو أوزبكستان في القرن العاشر الميلادي (لوحة ٧) ، مسجل عليه كتابة كوفية بسيطة نصها " إشرب منها " ومسجل تحت رقم (M.١٤,١,٢٠٠٢) .

ومن التحف الحياتية أيضاً نذكر منها أيضاً وعاء رائع من الخزف المرسوم تحت الطلاء ، محفوظ بمتحف هارفارد مسجل تحت رقم (٢٠٠٢,٥٠,٨٨) يشتمل علي كتابات مسجلة باللون الأسود والأحمر علي مهاد أبيض اللون ، تلك العبارات التي تمثل حديث النبي صلي

الله عليه وسلم (الحياء شعبة من الإيمان ...) إضافة إلي أقوال مأثورة عن سيدنا علي بن أبي طالب " الطمع هو علامة الفقر . السلام " ، وإن كانت باقي العبارات يصعب قراءتها ، وينسب إلي مدينة أوزبكستان في القرن العاشر الميلادي بالفترة السامانية (لوحة ٨) ٢١ . هذا غير شبابيك القلل والمنسوجات والعديد من أدوات الحياة اليومية وكذا قيامه بتسجيل كتاباته علي العمائر الدينية والمدنية والحربية وغيرها ، بما يتناسب مع الطبيعة الوظيفية لكل منشأة ، فصارت حكايته مع الكتابات العربية علاقة عشق وهوي وصل حداً غزت فيه تلك الكتابات كل مناحي حياته وهو ما صرنا نفتقده الآن للأسف ، ونحاول تطبيقه عملياً علي الدارسين .

الجانب التطبيقي والتدريبي :

الأهداف العامة :

١ – تكوين إتجاهات إيجابية مناسبة لدى الأطفال والشباب نحو الآثار والحضارة .

٢ – تكوين وتنمية الأسلوب العلمي للتفكير لدى الأطفال والشباب لدور اللغة العربية وضرورة إحيائها عبر تنمية الثروة اللغوية والمهارات اللازمة للأطفال والشباب من خلال الوعي الأثري لقيمة الحضارة .

٣ – اكتساب الأطفال والشباب المهارات اليدوية التي تمكنهم من التعامل مع الموارد الطبيعية بشكل إيجابي.

٤ – تهيئة أكبر مجال ممكن لنمو الأطفال والشباب نمواً سوياً في إطار حاجات المجتمع الذي يعيش فيه .

٥ – رفع الحس والانتماء الوطنى وارتباطهم الوثيق بحضارتهم ومعرفة دورها فى نشر الوعى الثقافى .

٦ – معرفة أنواع الخطوط من خلال دراسة المخطوطات والتحف الأثرية .

٧ – تحبيب وترغيب الأطفال فى لغتهم من خلال الأشغال والدراسات الفنية .

فالحروف العربية الغنية بمعطياتها الفنية سوف تزيد – بلا شك – من إبداعات الطلاب أو الشباب ، فهذه الحروف تنضوي على عبقرية فذة لا حدود لها ، من حيث المضمون، أو من حيث الشكل ، ولقد اعتمد الجانب التطبيقى على عناصر تشكيلية مستمدة من الخط العربي ، وهناك طريقتين للاستفادة من الحرف العربي:

الأولى: يكون الحرف فيها عنصراً تشكيلياً أساسياً في اللوحة .

والثانية: لا علاقة للحرف بمضمون اللوحة ، إنما يكون الحرف فيها عنصراً ثانوى .

ومن ثم نجد في المجال الأول ميلاً لدى كثير من الطلاب إلى استخدام الكتابة العربية شكلاً ومضموناً ، بل إن بعضهم استخدم الكلمات للتعبير عن مضمون اللوحة بأشكال فنية مع التزامهم بقوانين وقواعد الخط العربي من خلال التطبيق العملى على التحف الأثرية (موضوع الدراسة) ، وهو ما يشعر الطالب بالنشاط والابتكار وحب الأحرف وحفظها ، وما يجعلنا ننادى في ذات الوقت بضرورة دمج دراسة الخط بالأشغال الفنية وتسمى حصة الخطوط التراثية والإبداع .

كما قامت شريحة أخرى من الطلاب بتجريد الخط العربي واستخدامه في اللوحات التجريدية ، محاولين ربط التراث العربي بالفنون العصرية ، وقد قاموا جميعاً باستخدام الخط العربي حروفاً ، وكلمات ، وجملاً ، كعناصر تشكيلية تساهم في بناء اللوحة ، فإما أن تكون أساساً في هذا البناء في بعض اللوحات ، أو تستخدم في حل ، أو إشغال الفراغات في لوحات أخرى . وكل ذلك مع الاستفادة من التراث الزخرفي العربي ، وهو ما سوف يتم الاستفادة منه فى مجالات الحياة فى الواجهات المعمارية أو اللوحات الإرشادية فى الطرق والشوارع والميادين ، أو الشعارات وغيرها ، وهذه الأفكار تطبق فى كليات الفنون عامة من خلال تدريس مادة الخطوط فى التصميم خلال سنوات الدراسة ، وكذا كليات الآثار من خلال التطبيق العملى على التحف الأثرية .

الجانب العملى

كان من الأهمية بمكان التعرف على الحالة الفنية للكتابات العربية من خلال طريقة تنفيذها بأساليب متنوعة وربطها بالأساليب التكنولوجية الحديثة وذلك لشريحة الشباب ، والتعرف على الخط وأنواعه وكيفية النطق الصحيح فيما يختص بشريحة الأطفال وفيما

يلى عرض الجانب التطبيقى الذى تم :

الجانب التطبيقى على الشرائح الطلابية

الجانب التطبيقى لشريحة الأطفال

السن : من 5: 7 سنوات		
الأهداف: كتابة الحرف واضح وصحيح		
إستراجيات التدريس المستخدمة : التعلم التعاونى التخطيط للنشاط : نقسم المجموعة إلى مجموعات ويطلب من كل مجموعة كتابة الكلمات وبعدها يتم وضعها على الصلصال بإسلوب فني جميل لتنفيذها		

السن : 7 : 12 سنوات الأهداف : كتابة الحرف واضح وصحيح الأدوات المستخدمة : قشرة الخشب		
إستراجيات التدريس المستخدمة : التعلم التعاونى التخطيط للنشاط: تقسم المجموعة إلى مجموعات ويطلب من كل مجموعة كتابة الكلمات والحروف وبعدها يتم رسمها بأسلوب فني جميل_	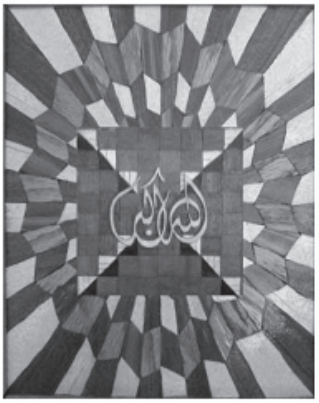	

السن : من 13: 17سنوات الأهداف : تشكيل الحرف وتوظيفه بإسلوب جميل		
إستراجيات التدريس المستخدمة : التعلم التعاوني الأدوات المستخدمة : الصلصال والتصوير الزيتى		
إستراجيات التدريس المستخدمة :التعلم التعاونى التخطيط للنشاط: نقسم الممجموعة إلى مجموعات ويطلب من كل مجموعة كتابة الكلمات وبعدها يتم وضعها على الأسطح بإسلوب فني		

السن : الأهداف :	مرحلة الجامعة وفيما بعد الجامعة . توظيف الحروف والكلمات الأثرية بإسلوب جميل من خلا ل التكنولوجيا الحديثة والاستفادة منها بإسلوب جمالى ونفعى فى الواجهات المعمارية والديكور وفى كافة نواحى الحياة (أدوات المأكل والمشرب والملبس إلخ)	
إستراجيات التدريس المستخدمة : التعلم التعاوني الأدوات المستخدمة : برامج الجرافيكس		
التخطيط للنشاط : ويطلب من كل فرد كتابة الكلمات وبعدها يتم وضعها على الأسطح بإسلوب فني جميل		

	طلاب كلية الآثار	
السن الاهداف إستراجيات التدريس المستخدمة : التعلم التعاوني .	مرحلة الجامعة وفيما بعد الجامعة . دراسة الحروف العربية من خلال التحف الأثرية والمخطوطات وغيرها الخ.... حيث تم تفريغ الكتابات المسجلة من القطعة الأثرية ليدرسها الطالب بدقة ويتعرف على شكل المخطوط الأثرى المستخرج منه الكتابة الأول: افتتاحية مصحف محفوظ بمكتبة المخطوطات الإسلامية بالقاهرة وربما تنشر لأول مرة مسجلة تحت رقم 2182 الثاني: صفحة مخطوط محفوظ بمتحف المتروبوليتان مسجل عليه "سنة ثمان وثلاثين وخمس مايةوصلي الله علي محمد نبيه وعلي آله وصحبه وسلم وشرف وكرم" Jerrilynn D. Dodds: Al-Andalus, The Art of Islamic Spain, The Metropolitan Museumof Art, New york, 1992, p. 305	
التخطيط للنشاط : يطلب من كل فرد كتابة الحروف والكلمات ليدرسها جيداً وبعدها يستنبط منها أشكال جمالية ويوظفها بشكل جمالى مع المحافظة على التراث فى كافة نواحى الحياة وخاصة فى مجال الترميم الإسلامى للتحف والعمائر الأثرية	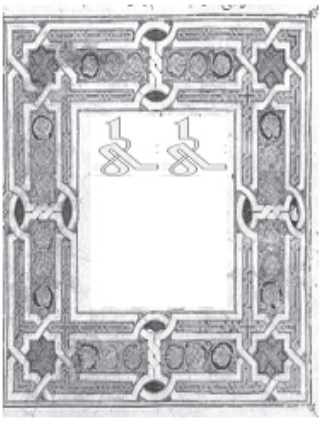	

تفريغ الكتابات المسجلة من القطعة الأثرية ليدرسها الطالب بدقة ويتعرف على شكل المخطوط الأثرى المستخرج منه الكتابة الأول	يرجع للفترة الناصرية بإسبانيا أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ومسجل عليه كتابات عربية مكررة نصها (عز لمولانا السلطان) Jerrilynn D. Dodds: AL-Andalus, The Art of Islamic Spain, The Metropolitan Museumof Art, New york, 1992, p. 337	
	تفريغات لأحد الأشرطة الكتابية لإحدى الحشوات الخشبية المحتفظ بها بمتحف المتروبوليتان مسجلة بالخط الكوفى المزهر ونصها " بسم الله بركة من الله " Jerrilynn D. Dodds: AL-Andalus, The Art of Islamic Spain, p. 40	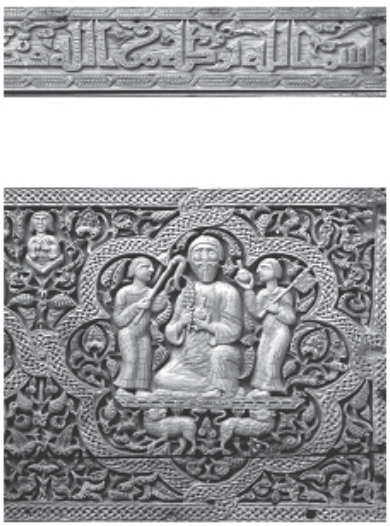

وبناءاً عليه يصبح بالإمكان إعادة النظر فى المناهج التعليمية الحالية لتعليم اللغة العربية من خلال مادة الخطوط والكتابات الأثرية التى يتم تدريسها بالمدارس بمراحل التعليم المختلفة والكليات الفنية ، وإعادة تدريسها عن طريق ربطها بالأشغال الفنية ودمجهم معاً .

هذا وقد تم عمل مقارنة بين تنفيذ بعض الأعمال من الحروف مع الطلاب بالإسلوب التقليدى تارة ، والإسلوب المقترح بالأساليب الفنية وكتابتها فى حصة الخط العربى والكتابات تارة أخري ، فوجدنا أن الدمج بين الخط والأشغال الفنية قد حقق نتائج جيدة جداً .

النتائج والتوصيات :

١ - الخط العربي من الخطوط الإستثنائية على مستوى لغات العالم حيث تتميز الحروف العربية عن غيرها بتقبلها أن تتشكل في أشكال هندسية متعددة مع إحتفاظها بطابعها العربي الأصيل دون تغيير ، على عكس حروف اللغات الأجنبية فهي لها شكل واحد يتسم بالجمود ، ولهذا السبب تعددت أنواع الخط العربي وفنونه والتي شكلت جزء كبير من تراثنا العريق المسجل بفنون العمارة والزخرفة الإسلامية التي أبهرت معظم فناني الغرب ، لذا وجب علينا أن نغذي مناهجنا الدراسية في مختلف المراحل التعليمية بدراسة لغتنا العربية بشتي الطرق كل في تخصصه ، ليس هذا فحسب بل يتوجب أن تغزو لغتنا العربية كافة مناحي حياتنا اليومية بأدواتها واستخداماتها في شتي المجالات من عمارة بواجهاتها الحديثة ، وفنون تطبيقية كالمنسوجات وأواني المأكل والمشرب والأدوات الكتابية ، وكل ما تقع عليه أعيننا بكل تفاصيل الحياة العامة منها والدقيقة ، استلهاماً بما كان يفعله الفنانون والخطاطون في عصورنا الإسلامية المبكرة .

٢ - يجب على المربين أن يهتموا اهتماماً جدياً بالمتاحف والآثار في إطار نظرتهم المتغيرة للتربية والتعليم ، فالتربية بمفهومها الشامل من الضروري أن تمتد خارج الجدران والصفوف المدرسية لتستفيد من بيئات يمكنها أن تساهم في التربية وزيادة الوعي ، ومن هذه البيئات المخطوطات الأثرية ومقتنيات المتاحف ، التي ستغدو إحدى الوسائل التربوية القيمة ، وتمتاز بميزات متعددة منها أن الدارسين سوف يقومون بإستكشاف الحروف العربية حسب رغبتهم واهتمامهم .

٣ - أن المخطوطات وثائق تصنعها الشعوب من خلال إبداعاتها لتسجيل منجزات التقدم في كافة مظاهر الحياة وما يتصل بذلك من أرصدة تاريخية وثقافية وجمالية.

٤ - أن الخطوط الأثرية يمكن أن تكون مصدرا لإبداع الطفل ، وتنمية شعوره ، وتقويته بالاتصال بالحضارة من خلال دراسته لنواتج حضارته تطبيقاً على المنتجات والمقتنيات الأثرية مثل العمائر والمخطوطات الأثرية والتحف الفنية وغيرها .

٥ – ضرورة التركيز علي الدور الحيوي للخطوط والكتابات العربية الأثرية في تربية الشعوب عبر الاتصال الجماهيري ، و يمكن أن تخرج أدوارها التربوية لكافة فئات المجتمع لتحقق البعد الآخر للتربية المقصودة عبر وسائل الإعلام المختلفة ، لضمان زيادة الوعي بجماليات اللغة العربية بكتاباتها الطبعة .

٦ - أن دراسة الخطوط العربية والكتابات الأثرية بالمدارس ومراحل التعليم المختلفة تعد من المصادر الأساسية للتنمية الإبداعية والجمالية في مرحلة الطفولة ، مما سيساهم في الحفاظ على الهوية الذاتية في الفكر الجمعي لثقافات الشعوب مستقبلاً ، ورفع الحس والانتماء الوطنى وكذا تنمية الشعور القومى للدارسين كركيزة أساسية هامة لقراءة حضارتهم وارتباطهم بها .

٧ – أن الخطوط وكتابات اللغة العربية تحقق التواصل التام بين الأجيال لاسيما من ناحية التطوير الإبداعى والتقدم التكنولوجى لتطور أشكال الحروف من خلال تعليم غير رسمي لا يعتمد على الصف والامتحانات للتقييم ، ونقصد به الورش الحرفية .

٨ – تساعد الخطوط العربية الأثرية الدارسين - في مختلف أعمارهم - على مشاهدة نماذج ومراحل تطور لغتهم الجميلة عبر منتجات حضارتهم الأثرية ، وما يستتبعه من معرفتهم وإدراكهم بقيمة تاريخ أمتهم وتراث حضارتهم ، التي ينبغي أن تكون أساساً ومحوراً رئيسياً في كل مراحلهم التعليمية ، بل ضرورة تغذية عقول الأطفال والدارسين بدراسة مادة الخطوط والكتابات الأثرية بالمناهج والمقررات حتي تصبح أحد ركائز الوجدان العقلي لديهم .

٩ – أنه قد تحقق من عملية دمج دراسة توظيف الأشغال الفنية بالخطوط والكتابات الأثرية معاً غرضين غاية في الأهمية ، الأول : ترفيهي والذي لا غنى للمنهج عنه باعتباره أحد الوسائل الذي تعزز حيويته وترفع من درجة استيعابه ، مع ملاحظة زيادة إنجازاته ومهاراته التعليمية والإبداعية ، ومثال ذلك ما لمسناه في دراستهم للقرآن الكريم بالمصاحف المزخرفة ، والثاني : علمي وتكمن أهميته في كونه يكمل المواقف التعليمية ، ويثري موضوعاتها ، كما أنه عامل قوي في اكتساب وتثبيت المعلومات والمقررات الدراسية التي حصلوا عليها .

١٠ - أن البيئة التعليمية يستفيد منها الجميع على اختلاف مستوياتهم التعليمية وتعتبر شريحة الأطفال – بلا شك - من أهم الشرائح التي تحتاج إلى مثل هذا النوع من التعليم لضمان التربية السليمة والقويمة لفهم وإدراك معاني التراث الحضاري وزيادة الوعي الأثري لديهم ، ولن يتأتي ذلك إلا عبر اكتساب الأسلوب العلمي في التفكير ، فيتعلمون من خلاله الانتباه والتفكير والتحليل ودقة الملاحظة والنطق الصحيح ، وذلك من خلال مايقوم به من عمليات التركيب والتحليل والتفريق والتصنيف وبيان أوجه الشبه والاختلاف التي يقوم بها .

اللوحات :

(لوحة 1)

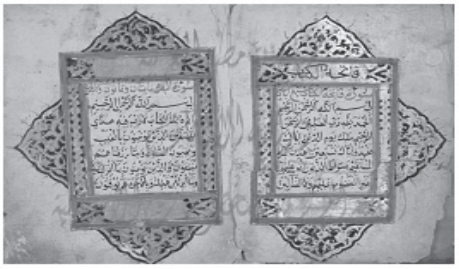

(لوحة2)

(لوحة 3)

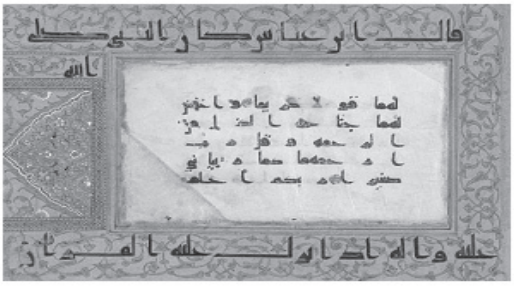

(لوحة4)

(لوحة 5)

(لوحة6)

(لوحة 7)

(لوحة8)

الهوامش

١ لسان العرب لابن منظور (جمال الدين أبو الفضل ت : ٧١١ه) ، دار المعارف ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، القاهرة ، الجزء الأول ، ص ١١ .

٢ القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ م ، الجزء الأول ، ص ١٠ .

٣ إبن خلدون مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب ، طبع المطبعة الشرفية ، مصر سنة ١٣٢٧ ه ، ص ٤٦٦ .

٤ محمد علي محمود نصرة : جماليات الكتابات العربية في العمارة الإسلامية كمدخل لتجميل واجهات المباني ، رسالة دكتوراة ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ، ٢٠٠١ م ، ص ١٦٥ .

٥ حسن قاسم حبش : الخط العربي الكوفي ، مطبعة جامع السليمانية ، العراق ، طبعة أولي ١٩٨٠ ، ص ١١ .

٦ إيفا ويلسون : الزخارف والرسوم الإسلامية ، ترجمة آمال مريود ، دار قابس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٧ .

٧ داليا أحمد فؤاد الشرقاوي : الزخارف الإسلامية والاستفادة منها في تطبيقات زخرفية معاصرة ، رسالة ماجستير ، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٩ . انظر كذلك : أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي – أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

٨ حسن الباشا : مدخل إلي علم الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ٢١٦ .

٩ زكي حسن : الفنون الإسلامية ، ص ٣٩ وما بعدها .

١٠ عفيف البهنسي: الفن الإسلامي ، دار الفكر ، بيروت ، طبعة أولي ١٩٩١ م ، ص ٩٧ . انظر كذلك: محمد علي محمود نصرة : المرجع السابق ، ص ١٤٨.

١١ مصطفي محمد رشاد : المقومات التشكيلية والجمالية للخط العربي ، مجلة دراسات وبحوث ، جامعة حلوان ، المجلد الثاني عشر ، العدد الثاني ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٨ . انظر كذلك : محمد علي محمود نصرة : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

١٢ المعيار التشكيلي هو الوسيلة التي توصلنا إلي معرفة مظاهر الجمال التي يتميز بها أي فن من الفنون بصرف النظر عن نوعه ومضمونه . انظر : ناجي زين الدين المصرف : بدائع الخط العربي ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٨١ م ، ص ٢٩ .

١٣ محمد علي محمود نصرة : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٢ .

١٤ إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ، سلسلة إقرأ ، العدد ٥٣ ، دار المعارف القاهرة " ص ٨٧ .

١٥ حسن الباشا جماليات الخط العربي ، ضمن كتاب موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الثالث ، مكتبة أوراق شرقية ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٧٢ . انظر : فرج حسين فرج : النقوش الكتابية الفاطمية علي العمائر في مصر ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ٢٠٠٧ م ، ص ٤٠ .

١٦ محمد علي محمود نصرة : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

١٧ زكي حسن : الفنون الإسلامية ، بيروت ، دار الرائد ، بدون تاريخ ، ص ٤١ : ٤٣ .

١٨ القرآن الكريم سورة الإسراء ، آية ٢٤ .

١٩ Komaroff, Linda. Islamic Art at the Los Angeles County Museum of Art. Los Angeles: Museum Associates, ٢٠٠٥.

٢٠ Hess, Catherine. The Arts of Fire: Islamic Influences on Glass and Ceramics of the Italian Renaissance. Los Angeles: J. Paul Getty Trust, ٢٠٠٤. Levkoff, Mary L.. Hearst the collector. New York: Abrams and Los Angeles: Los Angeles County Museum of Art, ٢٠٠٨.

٢١ Komaroff, Linda. Islamic Art at the Los Angeles County Museum of Art. Los Angeles: Museum Associates, ٢٠٠٥.